الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي

كلّية الآداب واللغات **قسم الأدب واللغة العربية**

محاضرات في مقياس
مدخل إلى الأدب الأوروبي الحديث
مُعَدّة لطلبة السّنة الأولى ماستر (أدب و نقد)
وفق المنهج الوزاري المقرّر

من إعداد الدكتور:

حمزة حمادة

الموسم الجامعي 2020/2019

المحاضرة الأولى:

في مفهوم النّهضة الأوروبية الحديثة

(نظرة تاريخية عامة)

تمهيد:

عرفت أوروبا مرحلة قاتمة من تاريخها، عُرفت باسم القرون الوُسطى، أو العصور المُظلمة، حيث: « هيمنت الكنيسة على شؤون الفكر والأدب، وأدّى ذلك إلى ضآلة الإنتاج الأدبي، وانطفأت شعلة التّأليف، وقد ظلّت اللغة اللاتينية كما كانت في العصر الرّوماني لغة الأدب والسّياسة، وعلى الرّغم من أنّ هذه الفترة شهدت ظهور اللغات المحلّية، إلّا أنّ هذه اللغات لم تُثبت وُجودا أدبيًّا ذا شأن، حتى نهاية القرن العاشر الميلادي »[1]

اختلف المؤرّخون في التحديد الدّقيق لمفهوم النّهضة(Renaissance)، وامتدادها التّاريخي، وإن عدّها مُعظم النّقاد أنّها تبدأ من: « الفترة الفاصلة بين العصور الوُسطى، وبين قيام المجتمع البورجوازي في أوروبا، واتفقوا إجماليا على أنّها الفترة الواقعة بين منتصف القرن الخامس عشر، ونهاية السادس عشر، وعلى أنّها بدأت في إيطاليا بصورة خاصّة، منذ القرن الرابع عشر»2.

كان أوّل من أطلق مصطلح نهضة (Renaissance):« للتعبير عن قيامِ هذا الوضع الحضَاري، الذي يختلِفُ كُلّيا عن أجيال القرون الوسطى، هو النّاقد الفني(جورج ساري) في كتابه" سِيَر مشاهير المُهندسين والرّسامين والنّقاشين الإيطاليين، منذ (سيمابو) إلى يومنا هذا، وقد صدرت الطّبعة الأولى من هذا الكتاب سنة1550م »3.

يعني مصطلح (نهضة) في اللغة(معجم المعاني الجامع):« نهضة، واسم الجمع نَهَضَات ونَهْضَات، اسم مرّة من نَهَضَ، النّهضةُ الطّاقة والقوة، كما تعني النهضَةُ: الوثْبةُ في سبيل التّقدّم الاجتماعي وغيره »4كما يشير قاموس المعاني إلى المعنى نفسه:« نهضةٌ، جمع نِهَاضٌ، نَهَضاتٌ(نَ.هَ.ضَ)المرّة من نّهَضَ، ونقول: عبّر عن نهضة واعية، عن قوّة طاقة، ونقول أيضا كان منه حركة إلى كذا، حركة وثْبة »[5]

السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هنا هو لماذا بدأت النهضة الأوروبيّة من فلورنسا بالذات وليس من مكان آخر؟

ترى إحدى النّظريات:« أنّ الدّراما التي تسبب بها الموت الأسود(الطاعون)في فلورنسا، والذي أصاب أوروبا بين عامي(1348م/1350م)كان سببًا في تحوّل نظرة الإيطاليين للعالم من حولهم في القرن الرابع عشر، حيث ضرب الطاعون إيطاليا بالذات بشكل شديد، وقيل أنَّ الألفة مع الموت جعلت المُفكّرين يتأملون أكثر في حياتهم على هذه الأرض، بدلا من الحياة الأخرى والرّوحانية، كما قيل أنّ الطّاعون دفع موجة جديدة من التّقوى، والتي تجلت في رعاية

الأعمال الفنّية الدّينية، ولكن هذا لا يُفسّرُ بشكل كامل لماذا حدث عصر النّهضة في القرن الرابع عشر في إيطاليا على وجه التّحديد»[6]. هذا التساؤل شغل بال عدّة مفكرين، وظل لفترة طويلة محلّا للنقاش، وقد لاحظ هؤلاء المفكرون أسبابا أخرى جعلت النّهضة الأوروبّيّة تنطلق من إيطاليا؛ من ذلك أنّها قريبة إلى اليونان، حيث كانت "أقرب الدّول الأوروبّيّة إلى اليونان وألصقها بتراث الرّومان القدماء، فقد أصبحت مهدا للنّهوض؛ ففي إيطاليا رفع الإنسان– لأوّل مرّة بعد محنة القرون الوسطى– بصره المكدود من طول النّظر إلى القبور والتّفكير في يوم البعث والنّشور، ليستمتع بجمال الحياة فوق هذه الأرض الفاتنة"[7] . فقرب إيطاليا من اليونان جعلهم يترجمون الفكر اليوناني إلى اللاتينيّة ودراسته دراسة جيّدة وخاصّة أعمال أرسطو .

وعلوم اليونان لم تكن وحدها من أسباب النّهضة في إيطاليا بل تضافرت مع علوم المسلمين ، حيث أنّ الأوروبيين اتّصلوا بالعرب المسلمين في الأندلس وأخذوا عنهم علوما كثيرة، حيث نجد "في مطلع القرن الثالث عشر اتّصل فريدريك الثاني بالعرب في صقليّة والشام أثناء الحروب الصّليبيّة واقتبس كثيرا من عاداتهم وآرائهم، وكان يقرأ كتب الفلسفة بالعربيّة، وأنشأ فريدريك الثاني في عام 1224 مجمّعا في نابولي لنقل العلوم العربيّة والفلسفة، أضف إلى ذلك أنّ جامعتي (بولونيا) و(بادوا) في إيطاليا كانتا من أهم المراكز الثقافيّة التي نشرت الثقافة الإسلاميّة . لقد انتشرت الثقافة العربية الإسلاميّة عن طريق هاتين الجامعتين في أنحاء أوربا وظلت سائدة حتى القرن السّابع عشر"[8] .

إلى جانب ذلك نجد أنّ تغيّر الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسّياسيّة ساعد إيطاليا على أن تكون في طليعة النّهضة، حيث سبقت مدنها باقي المدن الأوروبية في " التحرّر من سيطرة الإقطاعيّين ، وهذا ما ظهر بوضوح كبير في فلورنسا. لقد طوّر سكان المدن والتجار والحرفيّون التجارة الخارجيّة والصّناعة وتحوّلوا إلى طبقة جديدة هي الطبقة البرجوازيّة "[9] . وظهور هذا النّظام الاجتماعي الجديد أدخل إيطاليا في مرحلة جديدة شبيهة بظروف ازدهار أثينا القديمة، حيث كانت إيطاليا تعيش في ظرف مغاير لما حولها وكانت مدنها مستقلة وديمقراطيّة نسبيّا، وهذا التّطوّر الملحوظ على كل الأصعدة أدّى إلى نمو الوعي وتغيّر الفكر في القوى الجديدة الصّاعدة وبالتالي الأسبقيّة في النّهضة

ربما هذه الأسباب هي التي جعلت إيطاليا في مقدّمة الدّول الأوروبّيّة في عصر النّهضة ، هذا العصر الذي لم يكن يعني العودة إلى الحضارة اليونانية أو الرومانية بقدر ما كان البحث عن المعرفة واكتشاف العالم والإنسان والطّبيعة ، وذلك كله في قالب مزج الفكر بالعاطفة، وبدأ علم العصر الحديث " طريقه بالاتّحاد الوثيق مع الفن، وكان الفن هو الرّائد الباسل الذي تقدم الرّكب، وإذن فإنّ الشعراء والمفكرين والرّسّامين هم عمالقة عصر النّهضة"[10] .

مما ذكرنا يمكن أن نستخلص أنّ بداية عصر النهضة يظهر في تغير الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في أوربا في تلك الحقبة ، وكانت النهضة تنتشر في أوربا من دولة إلى أخرى تبعا، ويمكن تلخيص هذه الظروف والأوضاع كالتالي :

هناك وجهة نظر ترى أنه في نفس الوقت الذي كانت فيه دول أوروبية عظمى (فرنسا وإسبانيا) ملكيات مطلقة، ودول أخرى تحت سيطرة مباشرة من الكنيسة، كانت الجمهوريات الإيطالية المستقلة تعمل على تطبيق مبادئ الرأسمالية التي ابتكرتها العقارات الرهبانية وفجرت بذلك ثورة تجارية واسعة وغير مسبوقة سبقت عصر النهضة وقامت بتمويله . إلى جانب ذلك تساير المال والفن جنبًا إلى جنب، فكان الفنانون يعتمدون كليا على الرعاة بينما الرعاة يحتاجون إلى المال لدعم العباقرة، وتدفقت الثروات إلى إيطاليا خلال القرن الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر من خلال التبادل التجاري في قارة آسيا وأوروبا، حيث أن الفضة في تيرول قد زاد من تدفق المال، بالإضافة إلى أن معدات الرفاهية المجلوبة من العالم الشرقي خلال الحروب الصليبية قد ساهمت في زيادة ازدهار جنوة والبندقية.

<u>للمحاضرة مصادر ومراجع</u>

المحاضرة الثانية :

الأدب في عصر النّهضة (نظرة عامّة)

عرف ميشيليت عصر النهضة في فرنسا خلال القرن السادس عشر بالفترة في تاريخ الحضارة الأوروبية التي مثلت الفاصل بعد القرون الوسطى حيث خلقت فهماً متطوراً للإنسانية ومكانتها في العالم.

وفي هذا العصر شهدت أوربا حركة ثقافية كبيرة انطلقت من إيطاليا، ثم انتشرت في باقي دول أوروبا ابتداء من القرن السادس عشر، وقد أثرت بعمق على الحياة الفكرية الأوروبية في الفترة الحديثة المبكرة ، وظهر ذلك واضحا وجليا في الفلسفة والأدب والفن والموسيقى والسياسة والعلوم والدين، وفي هذه المحاضرة سوف نركز على الأدب في هذا العصر.

اهتم علماء عصر النهضة بالأسلوب الإنساني في الدراسة، وبحثوا عن الواقعية والمشاعر الإنسانية في الفن حتى لقبوا بإنسانيي عصر النهضة، ومن أولئك بوجيو براشيوليني. وقد ركز هؤلاء على الأدب اللاتيني والنصوص التاريخية والخطابية القديمة الموجودة في المكتبات الرهبانية الأوروبية ، كما اهتموا بدراسة الجهود اليونانية والعربية في العلوم الطبيعية والفلسفة والرياضيات بدلاً من النصوص الثقافية. إضافة إلى ذلك فإن أصحاب المذهب الإنساني لم يرفضوا الدين المسيحي بل على العكس من ذلك، خصصت العديد من أعمال عصر النهضة للدين المسيحي، وقد قامت الكنيسة برعاية العديد من الأعمال الفنية .

في هذه الفترة كان اقتراب المثقفين من الدين بطريقة مختلفة عن قبل، حيث أعيدت كتابة العديد من الأعمال اليونانية المسيحية بما في ذلك العهد اليوناني الجديد، وقد اشترك فيها علماء الغرب وللمرة الأولى منذ أواخر العصور القديمة. وقد تسبب هذا الانشغال الجديد بالأعمال المسيحية المكتوبة باليونانية ، وخاصة العودة إلى النسخة اليونانية من العهد الجديد والذي روج له الإنسانيان لورينزو فالا ودسيدريوس إراسموس تمهيدا إلى حركة الإصلاح البروتستانتية.

بدأت الكتابات تعالج الجانب الإنساني حيث ألف نيكولو مكيافيلي كتابه الأمير الذي يصف فيه الحياة السياسية كما كانت حقا، لفهمها بعقلانية بعيدا عن الدين. وقدّم الفيلسوف بيكو ديلا ميراندولا كتابه " De hominis dignitate" (خطاب في كرامة الإنسان) الذي كان له دورا مؤثرا في النزعة الإنسانية في عصر النهضة الإيطالي، حيث احتوى على سلسلة من الأطروحات حول الفلسفة والفكر الطبيعي والإيمان والسحر.

في هذا العصر إضافة إلى دراسة اللغات اللاتينية واليونانية التقليدية، بدأ الكتاب والمؤلفون باستخدام اللغة العامية واعتبارها لغات محلية مماثلة للاتينية ، وهذا التحول في الكتابة مع ظهور الطباعة ساعد على انتشار القراءة بين الناس، وخاصة قراءة الإنجيل.

ويمكن القول إنّ عصر النهضة يمثل بداية دراسة وتطوير الجانب العلماني والدنيوي من طرف العلماء والمفكرين، وذلك من خلال إحياء بعض الأفكار القديمة بالإضافة إلى إيجاد مناهج فكرية جديدة ومبتكرة.

مراحل النهضة الإنسانية للاتينية واليونانية:

تمثل المرحلة الأولى اهتمام الباحثين في عصر النهضة بدراسة واستعادة النصوص الأدبية والتاريخية والخطابية لدى اللاتينين واليونانيين بشكل عام في القرن الرابع عشر، وذلك عندما قام علماء من عصر النهضة مثل بترارك وكولوتشو سالوتاتي (1331–1406) ونيكولو دي نيكولي (1364–1437) وبوجيو براشيوليني–1380) (14599بتمشيط مكتبات أوروبا بحثا عن أعمال مؤلفين لاتينيين أمثال شيشرون وتيتوس ليفيوس وسينيكا .

وفي أوائل القرن الخامس عشر تم استعادة الجزء الأكبر من الأدب اللاتيني، وفي المرحلة اليونانية من عصر النهضة كانت الحركة الإنسانية هي القائمة، كما رجع العلماء في أوروبا الغربية إلى استعادة النصوص اليونانية الأدبية والتاريخية والخطابية واللاهوتية القديمة .

على العكس من الكتب اللاتينية التي حافظت على أصالتها ودُرست كما هي في الغرب الأوربي منذ القدم، إلا أن دراسة الكتب الإغريقية كانت محدودة جداً في العصور الوسطى في أوروبا. فقد تمت دراسة الأعمال الإغريقية القديمة في العلوم والرياضيات والفلسفة منذ أوج العصور الوسطى في غرب أوروبا والعالم الإسلامي (عادة بالترجمة)، ولكن الآداب الإغريقية والأعمال الخطابية والتاريخية (مثل هوميروس والدراميين الإغريقيين ديموستيني وثوسيديديس وما إلى ذلك) لم يخضعوا للدراسة لا في العالم اللاتيني ولا القرون الوسطى الإسلامية وإنما تمت دراسة هذه النصوص آنذاك عن طريق الباحثين البيزنطيين. من أكبر انجازات علماء عصر النهضة هو جلب الإنتاج الثقافي الإغريقي كاملا إلى غرب أوروبا للمرة الأولى منذ العصور القديمة. ويُرجع البعض تاريخ حركة إعادة دمج النصوص اليونانية الأدبية والتاريخية والخطابية واللاهوتية في مناهج أوروبا الغربية إلى دعوة كولوتشو سالوتاتي للدبلوماسي والعالم البيزنطي مانويل كرايسالريس) حوالي 1355–1415) لتدريس اليونانية في فلورنسا.

المحاضرة الثالثة:

الأدب الإيطالي

لم تكن النّهضة الأدبيّة لتزدهر لولا وجود سواعد شابّة فتيّة حملت على عاتقها لواء النّهوض بالفكر والأدب والعلم من أجل ازدهار الإنسانيّة ، فكانت بمثابة الطلائع التي تبشّر بفجر جديد . من هؤلاء بترارك وبوكاتشو ، ثم لما "ازدهرت النّهضة في إيطاليا شهدت حماة الشعر والفن أسرة مديتشي، وأسرة يورجيا وأسرو أورسيني، وشهدت من رجال الفن ميخائيل أنجلو و(رفائيل) و(دافنشي) ومن الأدباء (أوريوستو) و(مكيافلي)، وحسب إيطاليا في عصر نهضتها هذه الأنجم السّواطع دليلا على ما بلغته من عظمة ومجد"11 .

1- بترارك (1304 ، 1374) :

كان بترارك يصغر دانتي بجيل واحد ، ويكبر بوكاتشو بتسع سنوات ، وقد ذاع صيته حتى أنّ شهرته غلبت اسم دانتي في زمنه وفيما بعد إلى قرنين ، كما توّج أميرا للشعراء في روما ، وخلع عليه معاصروه كل علامات التّمجيد.

عاش معظم حياته في مدينة قريبة من (أفنيون)، وكان مغرما بالمطالعة فلا يكاد "يغادر مكتبته قط إلا إلى رحلة يرجو بها أن يجد مخطوطات قديمة أخرى، وكان من الكنوز التي هبط عليها (شيشرون) الذي وجد فيه بترارك متاعا لا حدّ له "12 .

من الأعمال التي خلفها بترارك ملحمة (أفريقيا) التي عبّر فيها عن حبّه للاتينيّة القديمة ، وقد دارت حول حروب (سيبيو) و(هانيبال) ، كذلك العديد من القصائد الغنائيّة التي أصبحت مثالا يحتذى " وأشهرها وارد في ديوانه (أشعار إلى سيّدتي لورا) ولعلها أنفس ما تقدّم به رجل لامرأة؛ فالقصائد التي عبّر فيها بترارك عن حبّه لها ، وعن أمله ويأسه التي صبّ فيها حزنه العميق لموتها تعد من أروع ما أنتجت قرائح الشعراء"13 .

كتب بترارك باللغة اللاتينيّة ، لكنه كان يدعو الناس إلى دراسة الأدب اليوناني في أصوله ، فهو أوّل من نادى بالدّعوة إلى اليونانيّة في أوروبا ، مع أنّه لم يتعلم اليونانيّة ومات وهو يكتب مذكراته على هوامش الأوديسة المترجمة التي كان يقرؤها في مكتبته .

2- بوكاتشو : (1313، 1375)

لا يعرف كثيرا عن حياته ، وقد اختلف في مكان مولده إما في فلورنسا وإما في تشيرتالدو، أما زمن مولده كان في أواسط عام 1313 ، وفي أواسط العشرينات من القرن الرابع عشر انتقل جوفاني بوكاتشو إلى نابولي لتعلم التجارة

والقانون . فدرس فيها اللغة اليونانيّة والأدب القديم ، واستطاع الدّخول إلى بلاط الملك (روبرت) عن طريق أصدقائه الشعراء والعلماء .

كانت أعمال بوكاتشو الأولى يبرز فيها تأثير تصوّرات العصور الوسطى والشعر البروفينسالي وخاصة قصيدة (فيلوستراتو) سنة 1338 ، أما روايته (فياميتا) التي كتبها سنة 1343 اختلفت عن سابقتها، حيث كانت "رواية نفسيّة وواقعيّة ومكتوبة بروح عصر النّهضة"14 .

عاد إلى فلورنسا سنة 1341 وشغل فيها منصبا هامّا ، وقام بمهمّات دبلوماسيّة عديدة، واشتهر بمعارفه وإنسانيّته ، وكتب في فلورنسا عدّة أعمال باللغة اللاتينيّة وألقى عدّة محاضرات حول شعر دانتي .

ومن أشهر أعمال بوكاتشو وأفضلها كتابه (ديكاميرون) الذي ألفه (1350، 1353) "وهو مجموعة تتألف من مائة قصّة، حكاية. كان الدّافع الظاهري لكتابة (ديكاميرون) انتشار (الموت الأسود) ، الطاعون الذي فتك بفلورنسا في عام 1848 . وفيه يحدّثنا الكاتب عن سبع سيّدات وثلاثة شبّان أقاموا في منزل في الضّواحي هربا من الكارثة. وراح كل واحد منهم يروي حكاية يوميّا مدّة عشرة أيّام (من هنا جاء الاسم ديكاميرون)"15 .

ديكاميرون :

أبطال قصص بوكاتشو إقطاعيون وتجار ورهبان وأطباء وأناس عاديّون بسطاء، حيث يرسم صورة رائعة لمجتمعه ويسخر من المعجزات الغامضة التي تدّعيها الكنيسة الكاثوليكيّة لنفسها ، ومن فساد الرّهبان وأنانيّتهم وتطفّلهم ويمجّد الحب ويدعو إلى الاستمتاع بالحياة .

يبدأ بوكاتشو كتابه بوصف الطاعون ، ولكن ليس كمؤرّخ بل كأديب وفنّان، فلم يصوّر الطّاعون كحقيقة واقعيّة "بل هو أيضا صورة واقعيّة كبيرة الحجم لحالة العالم المتأزّمة إبّان انتقاله من العصور الوسطى إلى عصر النّهضة. وهذا الفهم لصورة الطاعون يعطي– في رأينا– مفتاح فهم الكتاب كله "16 .

إن كان كتاب (دي كاميرون) يبدو كأنّه جمع للحكايا والقصص الموجودة من قبل، "ولذا فإنّ علماء غربيين معاصرين كثيرين يرون فيه مجموعة من الأفكار والنّظرات الجماليّة التي كانت في القرون الوسطى، وهي تشبه من وجهة نظرهم ما حوته (الكوميديا الإلهيّة) بالنّسبة إلى تلك القرون. ويمضي البعض منهم قدما فيجد في بنية كتاب بوكاتشو (فن العمارة) القوطي الذي كان سائدا في العصور الوسطى. ولكن بنية (ديكاميرون) بالذّات توضّح أكثر من أي شيء آخر انهيار فن العصور الوسطى وحلول النّظرة الإنسانيّة محل النّظرة اللاهوتيّة وهارمونيّة الحرّية الفرديّة محل هارمونيّة الضّرورة الميتافيزيقيّة . إنّ قصص الماضي لم ترد في (ديكاميرون) إلا لكي يدحض فهمها السّابق وتعطي فهما جديدا فالمهم في (ديكاميرون) ليس الحكايا القديمة وإنّما الأفكار الجديدة"17 .

وفي الأخير يمكن القول إنّ نظرية الأدب التي صيغت في (ديكاميرون) هي نظريّة عصر النّهضة الإنسانيّة الواقعيّة وبوكاتشو يعد أوّل كاتب واقعي في عصر النّهضة لأنّه صوّر الواقع تصويرا صادقا ودقيقا بكل تفاصيله وأوصافه الحسّيّة ، إلى جانب تقديم تفسير فنّي كلي لتجربة الحياة الإنسانيّة .

ميكيافلي :(1469، 1527)

هو مؤلف كتاب (الأمير) الذي عرض فيه أفكاره السياسية ، وكيفية تنشئة أمير يعمل على توحيد البلاد الإيطالية المتنازعة ، حيث أكد في كتابه "على ميل الإنسان إلى الشر وتطبعه به، وهاجم الديانة المسيحية التي بثت التواضع والمحبة بين الناس ، ومجّد الدّيانات القديمة التي أشاعت الحرب والقتال، وبالإضافة إلى ذلك قرن مكيافللي بين الإنسان والحيوان، وزعم أن كل مخلوق نصفه إنسان ونصفه الآخر حيوان، فلابد للإنسان إذاً لأن يستفيد من نصفه الآخر ولا سيما إذا كان كالأسد أو الثعلب. فالأمير في رأيه من استطاع أن يكون مرهوبا دون أن يكون محبوبا، ومن تظاهر بالفضيلة دون أن يؤمن بها. ومكيافللي دعا إلى التآمر للاستيلاء على سلطة الملوك الذين يصعب خلعهم، وأن يستولي على الملك ذوو البطش والقتل والخيانة"18 .

فمكيافللي شبه المجتمع بالغابة والغلبة فيه للأقوى ، بل دعا إلى لا أخلاقية التصرف السياسي وأباح الوصولية ، وألغى القيم والمبادئ والضّمير ، بل نفى حتى وجود الإله وأنكر العناية الإلهيّة ، وأكد على ضرورة أن يتكل الإنسان على نفسه . وبذلك نجد مكيافللي قد "فصل عن وعي بين الأخلاق والسياسة، بين الأفكار المثالية والواقعية، وهذا ما تبناه إبسن فيما بعد. وفضلا عن ذلك نجح مكيافللي في تصوير أخلاق عصره تصويرا فذا، فاحتلت الشخصيات المكيافللية التي اتّسمت بالخديعة والغش مكانة كبيرة في المحتوى الأدبي والدرامي طيلة قرون عديدة، وترك بصماته على مسرحيين كبار أمثال شكسبير"19 .

المحاضرة الرابعة :

الأدب الفرنسي في عصر النّهضة

ظهر الأدب الفرنسي خلال القرن الحادي عشر، ولكن اللغة الفرنسية لم تكن موحدة آنذاك ، إذ كانت هناك عدّة لغات أهمها لغة أهل الشّمال ولغة أهل الجنوب ، غير أنّ أمراء باريس ما لبثوا أن سيطروا على فرنسا ونشروا لغتهم في أرجاء البلاد كلها .

جماعة البلياد (الثريّا) :

واجه الأدب الفرنسي صعوبات جمّة في بداية النّهضة ، وذلك راجع إلى سيطرة اللغة اللاتينيّة حتى القرن السّادس عشر ، إلى جانب اللغة الفرنسيّة التي تعدّ فقيرة ثقافيّا في تلك الفترة، وبالرغم من ذلك فقد تصدت جماعة من الشعراء في القرن السادس عشر لهذه الصّعوبات وحاولت النّهوض باللغة الفرنسيّة من خلال إثراء معجمها وزيادة ثروتها اللغويّة لتحمل المعاني الجديدة والأفكار الجديدة .

وقد عرفت هذه الجماعة باسم (البلياد) ، ومن أهم شعرائها "رونسار الذي جدّد في أوزان الشعر الفرنسي وفي مفردات اللغة، وكان متأثرا بهوراس تأثرا كبيرا . ومن شعراء البلياد أيضا (دي بيليه) "20 .

لم تهتم جماعة البلياد باللغة اللاتينيّة ، بل أصرّت على لغتها القوميّة – اللغة الفرنسيّة– ودافعت عنها دفاعا مستميتا، ورفضت "تفوّق لغة على غيرها من اللغات تفوّقا إلهيّا لأنّ اللغات من صنع النّاس. وأكد شعراء هذه المجموعة على أنّ حب الوطن يفرض خلق أدب مناسب باللغة المحلية وعلى أنّ اللغة الفرنسية الحيّة أغنى بالنسبة إلى الفنان من اللاتينيّة البكماء المدفونة تحت الصّمت منذ سنين طويلة ، وإنّها رقيقة وموسيقيّة إلى حد تستطيع معه منافسة اللاتينية. كما دعا هؤلاء الشعراء إلى إغناء اللغة بمفردات من اللهجات الدّارجة ومن اللغة الفرنسية القديمة وباشتقاق كلمات جديدة شريطة أن يقوم بهذا العمل معلم يرتضيه الشعب"21 .

حاولت جماعة البلياد إحياء اللغة الفرنسية المحلية وجعلها لغة الأدب والفكر والثقافة ، والاستغناء عن اللغة اللاتينية القديمة التي لم تعد قادرة على مواكبة النهضة ، ولكن لم تستمر هذه الجماعة ، بل تفرقت واضمحلت في أواخر القرن السادس عشر ، ومع ذلك فقد عادت أفكارها إلى الظهور مع الحركة الرومانتيكية في القرن التاسع عشر .

رابليه :

إنّ جماعة البلياد الذين تزعموا الأدب الفرنسي في عصر النّهضة كانوا شعراء، وهذا يدفعنا إلى الحديث عن من تزعم النّثر في تلك الحقبة، وهنا نجد أنفسنا أمام أفضل كتابه وهو الفنان (رابليه).

إنّ الحديث عن هذا الكاتب يحتّم علينا التطرق لحياته ثم ذكر أهم مؤلفاته التي لعبت دورا كبيرا في عصر النّهضة . ولد (رابليه) سنة 1494 في شينون، وكان والده موظفا في القضاء ، وعاش حياة مختلفة من راهب في الدير إلى باحث عن العلم والمعرفة ومعارض للكنيسة، أو كأنه يبحث عن كنيسة من نوع خاص رسمه هو بفكره وآرائه .

في سنة 1510 دخل (رابليه) "الدير الفرانسيسكاني في فونتين ليكونت حيث ظل راهبا حتى عام 1524 . ووصل في العلوم الدينية إلى مرتبة قسيس. غير أن رابليه لم يكن ميالا إلى عمله الكنسي بقدر ميله إلى طلب المعرفة. فانكب على دراسة اللاتينية ثم اليونانية وقرأ لأفلاطون وتراسل مع غليوم بوديه زعيم الإنسانيين الفرنسيين آنذاك . وأدّى ذلك كله إلى إغضاب الرهبان فانتزعوا منه الكتب اليونانية التي لم يحصل عليها إلا بشق النّفس"22 .

ثم انتقل إلى باريس سنة 1528 وتابع دراسته وتخلى عن الرهبنة والدير والكنيسة، وفي عام 1543 انتقل إلى مونبيليه حيث ألقى أولى محاضراته فشرح فلسفة هيبوقراط ، وعمل كطبيب تارة ، وكقسيس تارة أخرى ، ثم سافر إلى روما سنة 1553 كطبيب للملك فرانسيسك .

وقد نال الدكتوراه في مونبيليه سنة 1537 ، ثم زار إيطاليا ما بين عامي 1547 و1549 . وفي عام 1552 اختفى ولم يعرف عنه شيء خاصة بعد تصالح الملك مع البابا ، وتوفي سنة 1553 .

غارغانتوا وبانتاغروليل :

اشتهر (رابليه) بملحمته الخالدة (غارغانتوا وبانتاغروليل) التي تتكوّن من خمس أجزاء ونشرها تبعا حسب الظروف وكان الجزء الأول بعنوان (أعمال بانتاغروئيل الشهير الفظيعة المخيفة وبطولاته) ، والثاني بعنوان (تربية غارغانتوا) ، أما الثالث (الحرب بين الملك بيكروهول والملك غرانغوزي) ، والرابع بعنوان (دير تيليم) والأخير بعنوان (بانورغ) وهذه الملحمة تحمل أفكار رابليه التقدمية وتصوراته حول قضايا مهمة في الحياة كتربية الأبناء والسياسة والدين وما إلى ذلك وربما سنوضح كل جزء على حده .

في هذا الجزء من الكتاب هاجم (رابليه) الكنيسة الكاثوليكية والوعاظ الذين يمثلون عقبة أمام النهضة من خلال أفكارهم التقليدية ، وقدّم أفكاره الجديدة وإن كانت لم تكتمل نظرته بعد، وأهم ما جاء في هذا الكتاب "رسالة غارغانتوا إلى ابنه التي يدوّنها رابليه في الفصل الثامن من كتابه والتي تعد بحق بيان النهضة الفرنسية ونشيد المعرفة الجديدة والتنوير الجديد "23 .

تربية غارغانتوا:

في هذا الكتاب ركز (رابليه) على التربية حيث يعرض أفكاره من خلال غارغانتوا الذي بعث به والده الملك غرانغوزي إلى الرهبان لتعليمه ، فلم يحظ بتعليم جيّد لأنّهم يرغمونه على حفظ النصوص دون فهم ، فيكررها دون خطا ولكن لا فائدة ترجى من ذلم ، ما دفع بالملك إلى إيكال أمر ابنه إلى معلمين يحملون أفكار عصر النهضة . وقد اهتم

بالتربية لما لها من دور هام في ثقافة عصر النهضة، "إذ كان من المهم بالنسبة إلى رجالات النهضة الذين أنشأوا ثقافة جديدة أن يمتلكوا وسيلة قادرة على إعداد الإنسان الجديد منذ طفولته لتقبل الثقافة الجديدة "24 .

الحرب بين الملك بيكروهول والملك غرانغوزي:

هذا الكتاب يعرض أفكار رابليه السياسية، حيث يتحدث عن حرب بين ملك إقطاعي (بيكروهول) يعتمد القوّة في كل شيء وشن الحروب لأتفه الأسباب، والثاني (غرانغوزي) الذي يهتم بشؤون مملكته وتطويرها، ورابليه يسخر من الاثنين وإن كانت من الملك البربري أشد وأقسى. "ومعنى هذه السخرية هو أن للممالك الأوروبية المعاصرة صفات كثيرة تستحق السخرية والنقد، وليس في أوربا أي نظام ملكي يستحق أن يكون مثالا يحتذى به"25 . وكأنه في هذا الكتاب يدعو إلى التخلص من النظام الملكي في أوربا .

دير تيليم:

في هذا الكتاب يقدم رابليه أفكاره الاجتماعية التي تظهر في بناء دير مختلف عن غيره؛ لا يخضع لأي نظام صارم وتوزع الأعمال حسب الحاجة ، ولا توجد به كنيسة ، وللراهب أن يتزوج ويدرس ويعمل ويمارس كل حياته بكل حرية بعيدا عن القيود ، وبذلك فرابليه دعا إلى الحرية التي دافع عنها إنسانيو النهضة الإيطالية والتي تعني الحرية الشخصية الإنسانية .

بانورغ :

ربما في هذا الكتاب حاول رابليه الحصول على رضا الملك والكنيسة والهدنة معهم ، من خلال الحديث عن دور رجال الدين في محاربتهم ونضالهم ضد الهرطقة ، والعمل على غرس الإيمان الكاثوليكي في قلوب الناس .

وفي الأخير يمكن أن نستخلص أنّ كتاب رابليه بجميع أجزائه قدّم أفكارا جديدة تناسب عصر النهضة في جميع المجالات؛ السياسية، التربوية ، الاجتماعية والدينية . وذلك لتخليص أوربا مما هي فيه والانطلاق في البحث عن المعرفة والعمل .

للمحاضرات مصادر ومراجع